لا عبادة دون حرّية وعقل



▶إن "الحر "ية قيمة كبيرة تعني فعالية الوجود البشري، وهي شأن ُ نابع ُ من جوهر الذات الإنسانية وإدراكها، وبهذا المعنى يعيش المرء غاية إنساني ّته عندما يعيش كامل حر ّيته في التعامل مع مختلف القضايا، ومنها الدينية، فكل ّدين ٍ من الأديان يشتمل على قواعد وطقوس وأوامر ونواه ٍ، من عبادات ٍ ومعاملات تنظ ّم حياة الإنسان.

من هنا، عندما يريد المرء بداية ً أن يعتنق دينا ً من الأديان، لابد ّ له من أن يكون حرّااً في اختياره، وحرّااً في نظرته إلى ما يعتقد، وأن يمارس عباداته بكامل وعيه وحرّيته، لا أن يعيش التقليد والتبعية على مستوى الفهم والتطبيق لما يحمل من عقائد.

فالحرّية أمر ٌ ضروري ومسألة حسّاسة تتّصل بعمق الإيمان، وبعمق الممارسة الدينية، فا□ تعالى يريدنا أن نكون العابدين الأحرار، والواعين في طاعته وعبادته، لا العباد المقهورين المسلوبين من حرّيتهم وإرادتهم.

إن " العبادة الحق ق تشترط عقلا ً منفتحا ً واعيا ً لا يتحر لك على السطح، بل ينفذ إلى العمق، ويحل لل ويدق ق ويستفهم، وينطلق في آفاق الحياة مستكشفا ً وباحثا ً ومستفهما ً، بغية الاستزادة والفعل والتأثير، كما تشترط حر ية أفي الكلمة، فلا يتبع الإنسان الغوغائي ين أو يقل دهم، وحر ية الموقف، بأن يلتزم الحق والص يدق والإخلاص، فلا ينجرف وراء خوفه وتبعي ته العمياء للظلامي ين والجهلة..

فا□ تعالى لا يقبل إ"لا العبادة الص"َادقة الص"َافية، النَّابعة من عمق المشاعر والإيمان، والسَّائرة في خطِّ الحرّية والعقل.

كم من أُناسٍ ليسوا أحراراً في حياتهم والتزاماتهم وقراراتهم، وحتى في إيمانهم السطحي، فيما واقعنا يحتاج إلى الإنسان الحرِّ العاقل، الذي لا يعرف لغة الممنوعات، بل يسعى على الدوام إلى البحث والاستفهام والتزوِّد بالمعرفة، فالحرِّية والعقل عنصران متكاملان يحفِّ ِزان الإنسان على الحركة الفاعلة والمنتجة، والتي تربط البشر بربِّهم عبر علاقة أصيلة عميقة ومتجدِّدة.

فلنرب ّ ِ أنف ُسنا على أن نكون الأحرار والعاقلين في ارتباطنا با∐، وفي فهمنا ووعينا لمسيرتنا الإنسانية والحضارية، كي نؤص ّ ِل هذا الوجود ونمنحه القيمة التي يستحق ّ.◄